أبعاد
للدراسات الإستراتيجية

دراسة

الحراك الديمقراطي الإفريقي

إعداد: د. حكيم أَلَادَيْ نجم الدين
باحث نيجيري مختصّ بشؤون إفريقيا و جنوب الصحراء الكبرى

شباط/ فبراير 2022
www.dimensionscenter.net

أبعاد
للدراسات الإستراتيجية

مركز تفكير يُعنى بدراسة شؤون منطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا، ويُقدّم للقارئ العربي رؤية موضوعية لشؤون المنطقة السياسية والاقتصادية والاجتماعية.
ويسعى المركز إلى تقديم محتوى يخاطب المختصين والمهتمين، بلغة بعيدة عن لغة الخبراء والفنيين والأكاديميين، وبتكثيف يتناسب مع متطلبات العصر الحديث، وما يستلزمه من إيجاز يُلبي احتياجات الباحثين والقراء.

www.dimensionscenter.net

جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة لمركز أبعاد للدراسات الاستراتيجية - ©2022

info@dimensionscenter.net

مقدمة

ظهر استخدام مصطلح "الربيع العربي" من قِبل المحللين الأمريكيين لوصف الحركات الديمقراطية في الشرق الأوسط في عام 2005، وعاد استخدام المصطلح مرة أخرى في كانون الثاني/ يناير 2011 لوصف موجة الاحتجاجات وحركات التغيير السياسي التي عصفت بعدة دول عربية. وقد تبنّى عدد من وسائل الإعلام الدولية مصطلحاً مماثلاً – أي "الربيع الإفريقي" - في التنبؤ المستقبلي بإفريقيا جنوب الصحراء الكبرى اعتماداً على الحركات المدنية والاحتجاجات الجماهيرية التي تشهدها المنطقة منذ عام 2014.

على أن مصطلح "الربيع الإفريقي" لم يكن فقط غريباً عن معظم الأفارقة لكون فصل الربيع غير مألوف في المناطق الاستوائية بالقارة، بل لأن وصف جهودهم في التجديد السياسي وأوضاعهم بـ "الربيع" تُخفي خاصياتهم الاجتماعية والثقافية. ولذلك اُضطُرّ باحثون في الدول الإفريقية الفرنكوفونية إلى تبنّي مصطلح "هَرْمَتَان" في وصف التغيير الكاسح في بوركينا فاسو في عام 2014. و"هرمتان" رياح حارة وجافة ومغبرة مألوفة في دول غرب إفريقيا، وهي أنسب المصطلحات التي تعبّر عن الأحداث المعقّدة والتطورات الحالية في معظم دول المنطقة.

وعلى ما سبق تعتمد هذه الورقة على منهجية مراجعة التقارير بشأن التطورات الاجتماعية والدراسات المتعلقة بالمشهد السياسي في إفريقيا بشكل عامّ، وتتبع الوقائع المختلفة والمعلومات المحيطة بالحراك الديمقراطي في إفريقيا جنوب الصحراء الكبرى، وذلك لمعرفة ما إذا كانت حركات الاحتجاج بدول إفريقيا جنوب الصحراء الكبرى تقع تحت ما يسمى بـ "الربيع الإفريقي"، واستنتاج ما تشير إليه المعطيات التاريخية واتجاهات الأحداث منذ أكثر من عقدٍ.

أولاً: طبيعة حركات التغيير في إفريقيا

تختلف أسباب الانتفاضات الجماهيرية من دولة ومنطقة لأخرى، كما تشترك منطقة إفريقيا جنوب الصحراء الكبرى مع الدول العربية التي شهدت "الربيع العربي" في جملة من التحدّيَات بما في ذلك: الفساد [1] وارتفاع البطالة والأزمات الاقتصادية [2]، إضافة إلى تداعيات سلطة الرئاسة المهيمنة [3] ومحاولات التوريث السياسي العائلي [4].

ورغم هذه التحدّيات لم تعصف بمعظم دول إفريقيا جنوب الصحراء الكبرى حتى اليوم موجةُ الثورات من قَبيل ما حدثت في دول بشمال إفريقيا أو الشرق الأوسط، ولم تشهد إلى اليوم موجة انتفاضات كافية للتنبُّؤ بما يسمى "الربيع الإفريقي"؛ وذلك لطبيعة خاصيات المنطقة السياسية ولتبايُن مستوى تأثير العوامل التي تُفتَرض أن تُساهم في خروج الأفارقة إلى الشوارع.

وفي النقاط التالية يتم تحديد العوامل التي تُقلّل من تأثير الدومينو للاحتجاجات وتُضعف الانتشار الجغرافي للحَراك الثوري في إفريقيا جنوب الصحراء الكبرى:

1- اختلاف المسوغات:

تتضامن الدول الإفريقية مع أخواتها وجيرانها في أزماتها، ويتضح هذا التضامن في سياق فترات النضال من أجل الاستقلال؛ إذ وحّدتهم أهداف محددة مُتمثّلة في طرد القوى الاستعمارية التي اشتركوا جميعاً في ويلات حكمها واستغلالها؛ ففي نيجيريا وقعت احتجاجات النسوة التاجرات ضد الضريبة الاستعمارية البريطانية في ما بين عامَيْ 1929 [5] و1946 [6] وألهمت هذه الحركة احتجاجات في مناطق أخرى.

(1) Moletsane Monyake, & Dan Hough (2019). What's behind the wave of protests in Africa?. The Washington Post, from url https://wapo.st/3EaUgeD (visited on 25 November, 2021)

(2) Brahima S. Coulibaly (2020). Foresight Africa: Top priorities for the continent 2030-2020. Brookings Institute, Washington, DC. Available as PDF file at https://brook.gs/316WNIM

(3) حكيم ألادي نجم الدين (2020). الرئاسة المهيمنة ومعضلة تغيير الدستور في إفريقيا جنوب الصحراء الكبرى. مركز الجزيرة للدراسات، عَبْر الرابط التالي: https://bit.ly/3EkvnNy (تم الاطلاع عليه 25 تشرين الثاني/نوفمبر 2021).

(4) حكيم ألادي نجم الدين (2021). معضلة التوريث السياسي في إفريقيا. الأفارقة، عَبْر الرابط: https://theafrikans.com/4725/ (تم الاطلاع عليه 25 تشرين الثاني/ نوفمبر 2021).

(5) Johnson, C. P. (1982). Grassroots organizing: women in anticolonial activity in southwestern Nigeria. African Studies Review, 157-137 ,(3-2)25.

(6) Uchendu, E., & Okonkwo, U. (2021). The Aba Women's War of 1929 in Eastern Nigeria as anti-colonial protest. In The Routledge Companion to Black Women's Cultural Histories (pp. 254-245). Routledge.

وفي عام 1947 وقعت إضرابات السكك الحديدية في اتحادية "غرب إفريقيا الفرنسي" التي تكونت من موريتانيا والسنغال ومالي [7]، بينما شهدت جنوب إفريقيا في عام 1952 حملات لتحدي قوانين الفصل العنصري [8]، كما أشعل "هيكتور بيترسون" – أحد أوائل ضحايا انتفاضة طلاب سويتو في عام 1976 - موجة غضب داخل جنوب إفريقيا ودول إفريقية أخرى [9].

على أنّ مسوغات الثورات والاحتجاجات المؤثرة خارج حدود الدولة أصبحت منذ أواخر سبعينيات القرن الماضي وَفْق خصائص كل دولة في إفريقيا جنوب الصحراء الكبرى، وغالباً ما تكون الاحتجاجات في دولة بالمنطقة بسبب تآكُل حقوق الرفاهية المدنية والعوامل الثقافية والاجتماعية؛ كالحركات والمواجهات العنيفة في إقليم شمال غانا بسبب خلافة الزعماء وحقوق الجماعات العرقية في تنصيب رؤسائها [10]، وحركات المظاهرات العامة في نيجيريا في عام 2014 بسبب الطالبات اللواتي اختطفهنّ "بوكو حرام" واكتسبتْ حملة تضامُن دولية أجبرت الحكومة على التحرك نحو بحث طرق إطلاق سراح الطالبات .

2- العوامل الثقافية والاجتماعية:

تتسم كل دولة بإفريقيا جنوب الصحراء الكبرى بتنوّعها اللغوي والثقافي وخصائصها الاجتماعية، حيث توجد في دولة مثل نيجيريا أكثر من 300 مجموعة عرقية وأكثر من 200 لغة مختلفة [12]. وبالرغم من انتشار عدد من المجموعات العرقية في الدول المختلفة بالمنطقة، إلا أن اللغات الكولونيالية كانت اللغات الرئيسية التي تتواصل بها نسبة كبيرة من سكان المنطقة. ولذلك يسهل للجمهور والرأي العامّ في الدول الفرنكوفونية أن يتفاعلوا بشكل أكبر مع الأوضاع في دول مثل الكونغو أو مالي أو جمهورية إفريقيا الوسطى أو تشاد أو الغابون وغيرها، وذلك لاشتراك هذه الدول في التحدث باللغة الفرنسية.

(7) Cooper, F. (1996). 'Our strike': Equality, anticolonial politics and the 48–1947 railway strike in French West Africa. The Journal of African History, 118-81 ,(1)37.

(8) Carter, G. M., & Karis, T. (2013). From Protest to Challenge, Vol. 2: A Documentary History of African Politics in South Africa, 1964-1882: Hope and Challenge, 1952-1935. Hoover Press.

(9) Kruger, L. (2017). The soweto uprisings forty years on: Usable pasts and uncertain futures. Research in African Literatures, 255-250 ,(4)48.

(10) Asante, L. A., & Helbrecht, I. (2018). Seeing through African protest logics: A longitudinal review of continuity and change in protests in Ghana. Canadian Journal of African Studies/ Revue canadienne des »tudes africaines, 181-159 ,(2)52.

(11) حكيم ألادي نجم الدين (2016). هل تقوم الحكومة النيجيرية بصفقة مع "بوكو حرام" للإفراج عن الطالبات المختطفات؟. مجلة قراءات إفريقية. عَبْر الرابط https://bit.ly/3llUPeu (تم الاطلاع عليه 25 تشرين الثاني/ نوفمبر 2021).

(12) Adegbami, A., & Uche, C. I. (2015). Ethnicity and ethnic politics: An impediment to political development in Nigeria. Public Administration Research, 59 ,(1)4.

بينما يسهل لسكان الدول الأنغلوفونية أن يتفاعلوا بشكل أكبر مع الحَراك المدني والتطوّرات في الدول مثل كينيا وتنزانيا ونيجيريا وأوغندا وجنوب إفريقيا وغيرها. ولذلك توقّع البعض تأثّر السودان بـ "الربيع العربي" لقُرْبها من الدول العربية من حيث اللغة الرئيسية والمنتشرة مقارنةً بالدول الأخرى في منطقة إفريقيا جنوب الصحراء الكبرى .

ويمكن فهم ثورة بوركينا فاسو في تشرين الأول/ أكتوبر 2014 من خلال العوامل الثقافية الإقليمية؛ إذ هناك توقّعات بأن تكون المظاهرات العارمة التي اجتاحت البلاد بشكل مفاجئ بدايةَ "الربيع الإفريقي"، ولكن التأثيرَ الإقليمي والقاريّ للحَراك ضئيلٌ ودون التوقعات رغم أثره المتضخّم عَبْر وسائل التواصل الاجتماعي ونجاحه في إنهاء حكم الرئيس "بليز كومباوري" المدعوم من الغرب والذي امتدت رئاسته 27 عاماً[14].

ومن العوامل الاجتماعية أن معظم الاحتجاجات التي شهدتها القارة الإفريقية على مرّ السنوات الماضية كانت تُقاد من قِبل طبقات اجتماعية معينة وفئات مختلفة لأسباب خاصة بها؛ ففي كانون الثاني/ يناير 2012 شهدت نيجيريا حركة احتجاج سياسية كافية للإطاحة بإدارة الرئيس السابق "غودلاك جوناثان" بعدما ألغت حكومته دعم الوقود، وشهدت معظم مدن نيجيريا وقتها عصياناً مدنياً ومقاومةً وإضرابات وفعّاليات موسعةً على الإنترنت، لتُضطر الحكومة في النهاية إلى التنازل عن خطوتها. ولكنه اتّضح فيما بعد أن هذا الحَراك النيجيري كانت وراءه أهداف سياسية غير مُعلَنة من قِبل المعارضة السياسية، وأنها حركة كانت تسعى وراء مصالح النخبة الحاكمة؛ إذ فازت المعارضة الرئيسية بقيادة "محمد بخاري" برئاسيات عام 2015 ورفعتْ حكومته أسعار الوقود. ومع ذلك لم تشهد نيجيريا أي شكل من أشكال الاحتجاج أو العصيان المدني ضد هذا التطور تحت إدارة الرئيس الحالي "بخاري"[15].

وبالمنظار نفسه يمكن فَهْم سلسلة الاحتجاجات الجماهيرية في نيجيريا ضد وحشية الشرطة في عام 2020؛ إذ النسبةُ الكبرى من المحتجين شبانٌ وخريجو الجامعات والعاطلون عن العمل وأصحاب الشركات الصغيرة والمشاريع الإلكترونية[16].
ورغم أن فئة الشباب هي التي عانت من وحشية الشرطة وتجاوُزاتها، فقد كان موقف حكومة الرئيس "بخاري" تجاه الاحتجاجات أن الشبان المحتجين مدعومون من قِبل المعارضة ومنظمات غربية لاستهداف إدارته ولتقويض استقرار نيجيريا[17].

(13) Silja Fröhlich (2020). Why the Arab Spring never engulfed sub-Saharan Africa. Deutsche Welle, from https://bit.ly/3llPyU8 (visited on 25 November, 2021).

(14) Engels, B. (2015). Political transition in Burkina Faso: the fall of Blaise Compaoré. Governance in Africa, 6-1 ,(1)2.

(15) Obasi, V. U., Ezenkwa, E. C., Onwa, D. O., & Nwogbaga, D. M. (2017). The Political Economy Of Fuel Subsidy Removal In Nigeria. African Journal of Politics and Administrative Studies, 1)10).

(16) بي بي سي (2020). مظاهرات نيجيريا: لماذا خرجت احتجاجات قوية تطالب بإصلاحات؟. عَبْر الرابط https://bbc.in/3E9BZyq (تم الاطلاع عليه 25 كانون الأول/ ديسمبر 2021).

(17) حكيم ألادي نجم الدين (2021). حظر "تويتر" في نيجيريا: أسبابه وتداعياته. قراءات إفريقية، عَبْر الرابط https://bit.ly/3pwj9eX (تم الاطلاع عليه 30 كانون الأول/ ديسمبر 2021).

يُضاف إلى ما سبق أنه عندما خرج الجنوب إفريقيين في حركة احتجاجية بدأت في 9 آذار/ مارس 2015؛ كانت الأهداف إزالة تمثال وُضع للاحتفال بذكرى الإمبريالي "سيسيل رودس" في جامعة "كيب تاون". وقد حظيت الحملة باهتمام إفريقي وعالمي وأدت إلى حركة أوسع لإنهاء استعمار التعليم في جميع أنحاء جنوب إفريقيا، ولكن الحركة لم تؤثر بشكل كبير في طلاب الدول الإفريقية الأخرى الذين يعانون من المشكلة نفسها. بل بدلاً من ذلك شهدت جامعة "ويتس" في منتصف تشرين الأول/ أكتوبر عام 2015 حركة احتجاجية جديدة انتشرت سريعاً إلى جميع أنحاء جنوب إفريقيا طلباً لوقف الزيادات في رسوم الطلاب وزيادة التمويل الحكومي للجامعات [18].

3- الجهود الإفريقية في توطين الديمقراطية:

من الأسباب الرئيسية لعدم وقوع موجة الثورات على غرار ما شهدتها الدول العربية؛ أن إفريقيا جنوب الصحراء الكبرى شهدت منذ تسعينيات القرن الماضي سلسلة من التحولات الديمقراطية السريعة أتت بالأنظمة السياسية متعددة الأحزاب في الدول التي كانت في السابق تطبق نظام الحزب الواحد، مثل ساحل العاج ومالي وتنزانيا وزامبيا وموزمبيق وأنغولا [19]. كما أن نهاية الفصل العنصري بجنوب إفريقيا وخروج بعض الدول الأخرى من الصراعات الدموية و"الحروب الأهلية"؛ كلها تخفف من حدة حماسة الثوار الأفارقة الذين يخافون من أن تُرْجِعهم الانتفاضات والأنشطة المدنية المناهضة للحكومات المستبدة إلى الفترات الدموية التي يحاولون تجاوُزها. وبالتالي كان الخيار الأمثل أن ينخرطوا في عمليات ديمقراطية سلمية تضمن تغيير الحكومات وتُؤمّن تناوُبها [20].

وتجدر الإشارة إلى أنه رغم تركيز بعض الدراسات على الجودة الرديئة للانتخابات في العديد من بلدان إفريقيا جنوب الصحراء الكبرى وتصوير بعض المنصات قارة إفريقيا على أنها معقل للاستبداد؛ إلا أن الواقع في عدد من دول القارة يؤكد على الجهود الإفريقية في توطين الديمقراطية وأن بالقارة بعض أبرز قصص التقدم الديمقراطي ومنارات الحقوق السياسية والحريات المدنية، كما هو الحال في دول مثل بوتسوانا وغانا وناميبيا وموريشيوس والسنغال وجنوب إفريقيا [21].

وتشهد معظم الدول بإفريقيا جنوب الصحراء الكبرى أيضاً موجةً من أنشطة الحركات التي تدعو إلى تعزيز آليات الحكم المدني والانفتاح السياسي.

(18) Sizwe Mpofu-Walsh (2021). Fallism's Faultlines: The Paradoxes of "Fees Must Fall". African Arguments, from https://bit.ly/3p7cM1i (visited on 29 November, 2021).

(19) Doorenspleet, R., & Nijzink, L. (2013). One-Party Dominance in African Democracies: A Framework for Analysis. One-party dominance in African democracies, 23-1.

(20) Ioannis Mantzikos (2012). Five Reasons There Will Be No African Spring. E-International Relations, from https://bit.ly/3xFjgs7 (visited on 25 November, 2021).

(21) Nic Cheeseman (2019). Democracy in Africa: success stories that have defied the odds. The Conversation, from https://bit.ly/34yM3nK (visited on 5 January, 2022).

وزادت هذه العمليات منذ الثورات التي شهدتها دول شمال إفريقيا والشرق الأوسط؛ حيث تأثّر القادة الأفارقة بتداعيات "الربيع العربي"، وبالتالي وفّروا منافذ جديدة من الحرية وعزّزوا برامجهم الاجتماعية. فزادت نسبة المشاركة السياسية وجاءت السنوات العشر الماضية بوجوه قيادية جديدة ونجاحات حاسمة لأحزاب سياسية معارضة فازت بمقاعد برلمانية ومناصب إستراتيجية في دول المنطقة.

ففي كل من نيجيريا وغانا في عامَيْ 2015 و2016 فازت المعارضة السياسية على التوالي بالرئاسة[22]. وفي ملاوي في عام 2020 انتصر المعارض "لازاروس شاكويرا" من حزب المؤتمر الملاوي على شاغل المنصب الرئيس "بيتر موثاريكا" بهامش 59% للمعارض مقابل 40% لشاغل المنصب[23]. وفي زامبيا في آب/ أغسطس 2021 تغلّب زعيم المعارضة "هاكيندي هيشيليما" على شاغل المنصب الرئيس "إدغار لونغو" في الانتخابات الرئاسية الأخيرة[24]. وفي تشرين الأول/ أكتوبر 2021 فاز "يوشيا ماريا نيفيس" المعارض ورئيس الوزراء السابق برئاسيات جمهورية الرأس الأخضر (كابو فيردي) مع اعتراف منافسه الرئيسي بالهزيمة[25].

ويُلاحَظ أيضاً سهولة تنظيم الاحتجاجات والمظاهرات في معظم دول إفريقيا جنوب الصحراء الكبرى، وتصاعد إقبال الشبان الأفارقة إلى العمليات السياسية ومزاحمتهم للشيوخ والوجوه القديمة. وقد فطنت بعض الفئة الشبابية ببعض دول المنطقة مثل جنوب إفريقيا وأوغندا إلى تنظيم الحملات المجتمعية والحركات الشعبية لتوحيد صفوفهم وأداء أدوارهم السياسية في الأوقات الحرجة التي كانت بلدانهم تمر فيها بأزمة قيادية. وفي دول أخرى تمكّن الشبان الأفارقة من تأسيس أحزاب سياسية تعبّر عن مطالبهم رغم صعوبة التغلب على رئيس الدولة أو الحزب الحاكم فيها ورغم كون وسائل الإعلام ولجنة الانتخابات وقوات الأمن تُستَخدم حسب إرادة الشخصية الحاكمة.

ففي عام 2012 نجحت حركة "Y'en a marre" الشبابية في السنغال في نضالها ضد قرار المحكمة الدستورية التي سمحت للرئيس "عبد الله واد" بالترشح لفترة رئاسية ثالثة[26].

(22) Idowu, H. A., & Oluwafemi 'Femi' Mimiko, N. (2020). Election management systems and peaceful alternation of power between incumbent and opposition governments in Ghana and Nigeria. Politikon: The IAPSS Journal of Political Science, 111-88 ,44.

(23) رويترز (2020). زعيم المعارضة في مالاوي يفوز بانتخابات الرئاسة المعادة. عَبْر الرابط https://reut.rs/3InfoXM (تم الاطلاع عليه 25 كانون الأول/ ديسمبر 2021).

(24) حكيم ألادي نجم الدين (2021). "هاكايندي هيشيليما" رئيساً لزامبيا: إخفاقات "لونغو" وتحديات العهد الجديد. قراءات إفريقية، عَبْر الرابط https://bit.ly/3I74M9m (تم الاطلاع عليه 27 كانون الأول/ ديسمبر 2021).

(25) Aljazeera (2021). Opposition candidate Neves wins Cape Verde election. From https://bit.ly/32NO2Uj (visited on 27 November, 2021).

(26) Atul Bhattarai (2016). Changing Senegal Through Rap: Y'en A Marre. World Policy Journal, From https://bit.ly/3G0QF3r (visited on 27 November, 2021).

وفي جنوب إفريقيا في عام 2013 اضطر الشاب "جوليوس ماليما" إلى تأسيس حزب "مقاتلي الحرية الاقتصادية" لمواجهة حزب "المؤتمر الوطني الإفريقي" الحاكم، ليصبح أعضاء حزبه اليوم عنصراً مُهمّاً داخل برلمان جنوب إفريقيا لمناقشة سياسات رئيس البلاد ومُساءَلة مسؤولي الحكومة[27].

وفي أوغندا أعلن الفنان "روبرت كياغولاني" في نيسان/ إبريل 2017 ترشّحه للعضوية البرلمانية لدائرة مقاطعة "كيادوندو الشرقية" بعد استيائه الشديد من الأوضاع المعيشية، وفاز في الانتخابات الفرعية بهامش كبير متغلّباً على المرشحين المخضرمين من الحزب الحاكم وحزب المعارضة الرئيسي. وفي انتخابات عام 2018 استغل "كياغولاني" مكانته وشهرته لدعم شبان ومرشحين آخرين فازوا في معظم الانتخابات الفرعية التي خاضوها. بل وأصبح "كياغولاني" وجهِ السياسة الأوغندية الجديد وممثّل الشباب الأوغندي في الرئاسيات الأخيرة التي أُجْرِيت في 14 كانون الثاني/ يناير 2021[28].

ويُضاف إلى ما سبق أن قمة الديمقراطية الأخيرة التي أُجريت في كانون الأول/ ديسمبر 2021 في واشنطن كانت بمثابة اعتراف أمريكي بالتقدّم الذي أحرزته الدول الإفريقية في مجال الدّمَقْرَطة – حتى وإن كانت القمة فوّتت الفرصة للتفاعل مع الأفارقة حول الطريقة المُثْلَى لتعزيز ديمقراطياتهم[29]. وقد شاركت 17 دولة إفريقية في القمة، بما في ذلك غانا والسنغال وبوتسوانا وموريشيوس وكابو فيردي وزامبيا، وهي الدول التي تُعتبر حاملة المعايير الديمقراطية في القارة .

ويُعزّز ما سبق نتائج استطلاع Afrobarometer في 34 دولة إفريقية والتي كشفت أن شعوب الغالبية العظمى من تلك الدول الإفريقية تدعم الديمقراطية وترفض الحكم العسكري وهيمنة الحزب الواحد والقيادة الشخصانية[31]، ما يعني أن دعم المبادئ الديمقراطية لا يزال قوياً بين الجماهير الإفريقية، وأن التراجع الديمقراطي بدول مثل مالي وغينيا وتشاد ليس حالة خاصة بإفريقيا؛ إذ تتصارع دول غربية أيضاً بما في ذلك الولايات المتحدة الأمريكية مع التهديدات تجاه ديمقراطياتها[32].

(27) Mbete, S. (2020). Out With the Old, In With the New?: The ANC and EFF's Battle to Represent the South African "People". In Populism in Global Perspective (pp. 254-240). Routledge.

(28) حكيم ألادي نجم الدين (2020). رئاسيات أوغندا: هل بإمكان «بوبي واين» تحقيق حلم الناخبين الشباب؟. متابعات إفريقية، العدد 9(12)، ص 60-66.

(29) Chris Olaoluwa Ogunmodede (2021). Biden's Democracy Summit Missed an Opportunity to Engage With Africans. World Politics Review, From https://bit.ly/3q6kmec (visited on 7 January, 2022).

(30) US Department of State (2021). Summit for Democracy: Invited Participants. From https://bit.ly/3zGiX1m (visited on 7 January, 2022).

(31) E. Gyimah-Boadi, & Joseph Asunka (2021). Do Africans want democracy — and do they think they're getting it?. Afrobarometer, From https://bit.ly/3q7qz9T (visited on 7 January, 2022).

(32) Chris Olaoluwa Ogunmodede (2021). Biden's Democracy Summit Missed an Opportunity to Engage With Africans.

4- عمليات تعديل الدساتير الوطنية:

تشهد دول بإفريقيا جنوب الصحراء الكبرى انقلابات دستورية متمثلة في تعديل الدساتير الوطنية لصالح بقاء شاغلي المنصب الرئاسي على سُدّة الحكم. وغالباً ما يكون الهدف من التعديل إلغاء حدود الولاية الرئاسية أو محو حدود سنّ الرئيس كي يحكم مدى الحياة، كما هو حال الرئيس الكاميروني "بول بيا" في استفتاء الجمعية الوطنية في عام 2008[33]، والرئيس الرواندي "بول كاغامي" في استفتاء دستوري لعام 2015[34]، والرئيس الأوغندي "يوري موسيفيني" في التعديلات الدستورية لعام 2017[35]، والرئيس التشادي الراحل "إدريس ديبي" في عامَيْ 2005 و2018[36]، والرئيس البوروندي الراحل "بيير نكورونزيزا" في التعديلات الدستورية لعام 2018[37]، والرئيس التوغولي "فور غناسينغبي" في عام 2019[38]، وغيرهم ممن أقدموا على إجراءات ألْهَتِ المواطنين عن توحيد صفوفهم والتحرك نحو الحدّ من تجاوُزات هؤلاء الرؤساء.

على أنه بالرغم من الضعف النسبي للمؤسسات القانونية بدول في المنطقة، ورغم الدّوْس على الحقوق الدستورية من قِبل حكوماتها؛ إلا أن شَرارة المقاومة ضد تجاوُزات الحكومات والرؤساء لا تزال قائمة، ولا يزال العديد من هذه الدول يتمتع بأنظمة وجداول زمنية للانتخابات الديمقراطية ومنصات برلمانية أكثر انفتاحاً وشمولية يستخدمها السكان للتعبير عن آرائهم مقارنة بالأنظمة في دول بشمال إفريقيا.

(33) France2008) 24). Cameroon parliament extends Biya's term limit. From https://bit.ly/3FXRfir (visited on 27 November, 2021).

(34) مصدر سابق:
حكيم ألادي نجم الدين (2020). الرئاسة المهيمنة ومعضلة تغيير الدستور في إفريقيا جنوب الصحراء الكبرى.

(35) المصدر السابق.

(36) المصدر السابق.

(37) المصدر السابق.

(38) المصدر السابق.

ثانياً: الحَراك الديمقراطي الإفريقي وبصمات القُوَى الخارجية

لم يَسلَم قادة منظمات المجتمع المدني ومنظمو الاحتجاجات من تهمة قبول التمويل الخارجي لزعزعة استقرار الدول الإفريقية، ولم تخلُ أنشطتهم من مضايقات من قِبل القوات الأمنية؛ فعندما تَظاهَر الشبان النيجيريون في عام 2020 كان موقف مسؤولي الحكومة النيجيرية أن المتظاهرين مموّلون من قِبل مؤسسات وشركات أجنبية اعتماداً على الدعم المالي الذي قدّمه مؤسس "تويتر" لإحدى المنظمات الشبابية التي نظّمت الاحتجاجات[39]. وعندما بدأ الفنان الأوغندي "روبرت كياغولاني" حملته لمنافسة الرئيس "موسيفيني" كانت جملة الاتهامات الموجّهة إليه أنه مموّل من قِبل أطراف أمريكية وأوروبية[40].

وتؤشر تطوّرات المشهد السياسي منذ عام 2020 من حيث الانقلابات العسكرية أن إفريقيا تشهد مرة أخرى سيناريوهات العقود الأربعة الأولى من استقلال دولها حيث كانت أعذار قادة الانقلابات وقتذاك أن تحرّكهم لمناهضة سياسات الحرب الباردة وتسابُق الاتحاد السوفيتي (روسيا) والولايات المتحدة الأمريكية ضد بعضهما بعضاً من أجل النفوذ والهيمنة وموارد القارة. والفرق الوحيد اليوم أن هناك حركات خافتة لأطراف دولية أخرى تشمل اليابان وتركيا والهند[41].

وفي خضمّ عودة التنافس الدولي على أراضي القارة الإفريقية يواجه بعض الزعماء الأفارقة تهمة خيانة شعوبهم والعمل لمصلحة القوى الكولونيالية السابقة أو المصالح الخارجية؛ إذ تصطفّ كل قوة أجنبية وراء مؤيديها من النخب الإفريقية وتدعم حركات الانقلاب وتمجّد الديكتاتوريين ما داموا يمثلون مصالحها. ولذلك كان الرأي العامّ وموقف قادة الحَراك الديمقراطي في دول مثل ليبيا وجمهورية إفريقيا الوسطى ومالي وغينيا كوناكري وتشاد أن الأزمات السياسية والانقلابات العسكرية في بلدانهم وإجراءات قمع الاحتجاجات وتضييق الخناق على المعارضين كلها لم تخلُ من بصمات القُوَى الخارجية وخاصة فرنسا وروسيا والولايات المتحدة الأمريكية والصين[42].

(39) مصدر سابق:
حكيم ألادي نجم الدين (2021). حظر "تويتر" في نيجيريا: أسبابه وتداعياته.

(40) The Independent (2020). Claims that Bobi Wine is backed by foreigners are ridiculous – Epstein. From https://bit.ly/3l0dVAi (visited on 30 November, 2021)

(41) Monyae, D. (2018). US, Russia, China and Africa in the Evolving Global Order. Changing Societies & Personalities. 2018. Vol. 2. Iss. 365-351 ,(4)2 ,4.

(42) Muhammad Dan Suleiman (2021). Towards a Better Understanding of the Underlying Conditions of Coups in Africa. E-International Relations, from https://bit.ly/3D8tpOY (visited on 30 November, 2021)

وقد واجه السفير الروسي في غينيا كوناكري في عام 2019 انتقادات من المجتمع الدولي والمعارضة الغينية لتدخّله في السياسة الوطنية من خلال دعمه لخطة الرئيس "ألفا كوندي" حيال تعديل الدستور كي يترشح لفترة رئاسية ثالثة. وأصرّ الرئيس "كوندي" على خطته متجاهلاً الاضطرابات والمشاكل التي تخلقها الخطة بين المجموعات العِرْقيّة في بلده غينيا، وأجرى الاستفتاء على الدستور الجديد في آذار/ مارس 2020 وفاز بالفترة الرئاسية الثالثة في تشرين الأول/ أكتوبر 2020، ليتبع ذلك انقلابٌ عسكري في أيلول/ سبتمبر 2021 بقيادة "مامدي دومبويا" الذي أطاح بالرئيس "كوندي" عن سُدّة الحكم وحَلّ الدستور والحكومة [43].

بل كان الطلب الرئيسي الذي كرّره الشبان الأفارقة الذين شاركوا في مؤتمر "فرنسا-إفريقيا" الأخير؛ أن تتوقف فرنسا عن دعم الحكام المستبدين وأن تتراجع عن الاستغلال الاقتصادي بسبب سياساتها "النيو-كولونيالية" [44]؛ إذ أكّدت مصادر في الجيش المالي أن الانقلابيين الذين أطاحوا بالرئيس المالي "إبراهيم بوبكر كيتا" في آب/ أغسطس من عام 2020 قد تدربوا في روسيا قبل عودتهم إلى جمهورية مالي للانقلاب على الرئيس المنتخَب الموالي لفرنسا. وأفادت تقارير أن انقلاب أيار/ مايو 2021 -ثاني انقلاب في مالي خلال تسعة أشهر فقط– كان بسبب محاولات إبعاد الموالين لروسيا عن الحكومة الانتقالية من قِبل مسؤولي الحكومة الانتقالية الموالين لفرنسا، فاضطر الجنرال "أسيمي غويتا" المحسوب لروسيا إلى قيادة الانقلاب وتولّي رئاسة مالي. وما زالت التساؤلات تُثار حول الدور الأمريكي في هذا التطور حيث هناك مزاعم بأن الجنرال "غويتا" وغيره من المشاركين في الانقلابَين قد تلقّوْا تدريبات عسكرية ومساعدة أمريكية [45].

ومن جانب آخر، كانت تحرّكات فرنسا الأخيرة ومزاعمها بدعم عمليات الدّمَقْرَطة محل شك لدى الكثيرين؛ إذ حدثت معظم انقلابات إفريقيا منذ عام 1958 إلى اليوم في المستعمرات الفرنسية السابقة [46]، ويصعب استبعاد تأثير فرنسا على الأزمات السياسية في تلك الدول. كما أن السجلات الفرنسية داخل القارة في السنتين الماضيتين تخالف ادعاء دعم الديمقراطية؛ ففي تشاد دعمت فرنسا انقلاب أيار/ مايو 2021 الذي نفّذه الجيش التشادي بعد الرحيل المفاجئ للرئيس "إدريس ديبي"، ولكنها ترفض انقلابَيْ مالي وغينيا بدعوى أن الانقلابيين يدمرون الإنجازات الديمقراطية التي حقّقها البلدان.

(43) جبريل فابوري كروما (2021). انقلاب العقيد على بروفيسور القانون الدولي. الأفارقة، عَبْر الرابط https://theafrikans.com/4894/ (تم الاطلاع عليه 30 كانون الأول/ ديسمبر 2021).

(44) حكيم ألادي نجم الدين (2021). قمة "إفريقيا- فرنسا": بين إستراتيجية الإليزيه الجديدة وتخوين "أشيل مبيمبي". قراءات إفريقية، عَبْر الرابط https://bit.ly/3EbXcrk (تم الاطلاع عليه 30 كانون الأول/ ديسمبر 2021).

(45) مصدر سابق:

Muhammad Dan Suleiman (2021). Towards a Better Understanding of the Underlying Conditions of Coups in Africa.

(46) Zounmenou, D. (2009). Coups d'état in Africa between 1958 and 2008: Africa watch. African Security Review, 73-72 ,(3)18.

ومثل هذا التناقض يعني أن المواقف الفرنسية متأثرة بتوجُّه دولة مالي نحو شركة "فاغنر" الروسية للمساعدة الأمنية بعد نجاح الوجود الروسي في جمهورية إفريقيا الوسطى، حيث يعني أي نجاح جيوسياسي روسي في مالي أن فرنسا قد خسرت جمهورية مالي ذات الإستراتيجية في منطقة الساحل[47].

وبالنسبة للصين، فإن إستراتيجيتها في إفريقيا تختلف عن نهج فرنسا أو روسيا؛ إذ تَبنِي الصينُ نفوذَها وعلاقاتها مع القارة على أساس التكيف مع الوقائع السياسية بدلاً من تشكيلها أو التأثير المباشر فيها[48]. ويختلف هذا النهج أيضاً عن إستراتيجية الولايات المتحدة الأمريكية التي اتُّهمت في الأشهر الأخيرة بتدبير انقلاب غينيا الأخير ضد الرئيس "ألفا كوندي" بهدف تحييد الصين التي تجاوزت تجارتها مع إفريقيا 40 ضِعْفاً خلال العَقْدين الماضيين[49]. وقد أفاد تقرير بأن مُدبّري الانقلاب الغيني غادروا قاعدةً عسكرية بعدما تلقّوْا فيها تدريبات أمريكية وأنهم توجهوا بعد ذلك إلى العاصمة "كوناكري" لتنفيذ الانقلاب[50].

ومع ذلك، تنفي القوى الخارجية بشكل قاطع أي دور لها في إعاقة استقرار الحكم المدني أو تفاقُم التطوُّرات السياسية والاجتماعية داخل إفريقيا؛ ففرنسا تنفي أن تكون لها مسؤولية في المشاكل السياسية في مستعمراتها السابقة أو أن يكون لها دور في انهيار الأوضاع الأمنية في الساحل منذ وصول قوتها العسكرية، والولايات المتحدة الأمريكية ترفض مزاعم تورُّطها في انقلاب غينيا رغم المؤشرات التي ترجح كفة دورها.

(47) مصدر سابق:
Muhammad Dan Suleiman (2021). Towards a Better Understanding of the Underlying Conditions of Coups in Africa.

(48) Holslag, J. (2011). China and the coups: Coping with political instability in Africa. African Affairs, 386-367 ,(440)110.

(49) Wenjie Chen, & Roger Nord (2018). Reassessing Africa's global partnerships Approaches for engaging the new world order. Brookings, from https://bit.ly/3xl1c0n (visited on 30 November, 2021).

(50) Fatoumata Diallo (2021). Were US soldiers really involved in Guinea's latest coup?. The Africa Report, from https://brook.gs/317qfyh (visited on 30 November, 2021).

ثالثاً: مساعي التغيير في ظل شتاء طويل

الانتفاضةُ ضد الحكومات أقلُّ منطقيةً بالنسبة لمعظم الأفارقة مقارنةً بالاحتجاج الذي يسهل تنظيمه ضد سياسة أو إجراء حكومي معيّن، خاصة أن تأثير منظمات المجتمع المدني ضعيف وأحزاب المعارضة التي قد تدير الانتفاضة منقسمة فيما بينها بسبب المصالح مما يعطي أولوية أقل للاستياء الشعبي والسخط العامّ.

وقد كانت السِّمَة البارزة لمعظم الاحتجاجات الإفريقية أنها تُواجَه بالقمع الوحشي دون تلبية المطالب الشعبية التي أثارت هذه الاحتجاجات، كما هو الحال في أعمال الشغب التي تجددت بسبب الغذاء والحرية بين عامَيْ 2007 و2020[51] في دول مثل بوركينا فاسو والكاميرون والسنغال وموزمبيق وجنوب إفريقيا وليسوتو. ولا تزال مملكة إيسواتيني (سوازيلاند سابقاً) تشهد منذ أواخر حزيران/ يونيو 2021 سلسلة احتجاجات ضد المَلَكيّة ولصالح تحقيق الديمقراطية[52].

(51) Mohamed Keita (2014). How not to write about Africa: Use "African Spring". Africa is a Country, from https://bit.ly/3lmQYxB (visited on 30 November, 2021).

(52) Aljazeera (2021). Tensions run high in Eswatini as pro-democracy protests continue. from https://bit.ly/3l3KzkC (visited on 30 November, 2021).

خلاصة

يُستنتج مما سبق أن منطقة إفريقيا جنوب الصحراء الكبرى سجّلت نجاحات نسبية في مجال الدّمَقْرَطة، وأن الديناميات الحالية في المنطقة تُؤشّر على أن الحكومات الإفريقية غير المكترثة ستستمر في مواجهة الحَراك المدني والضغوط الشعبية حال استمرار التحدّيات الحالية. كما أن الأوضاع ببعض الدول الإفريقية قد تؤدي إلى الصراع والتغيير المُزعزِع حيث يشكل الشبابُ المحبطون والعاطلون عن العمل خطراً رئيسياً على الاستقرار، خاصة في ظل تضاؤُل فجوات الدعم الشعبي بين شاغلي المناصب والمعارضة، وفي ظل إظهار الشباب تقارُباً أقل مع الحرس القديم.

ومن مُخرَجات الدراسة أن التراجع الديمقراطي في الدول الإفريقية -نتيجة حدوث فراغات في السلطة وضعف الشرعية- يُعزّز ازدهار الجريمة المنظّمة، كما هو الحال في الصومال التي تواجه أزمة حركة "الشباب" منذ عام 2006 وشمال شرق نيجيريا التي تعاني من تمرد "بوكو حرام" منذ عام 2009 وشمال موزمبيق التي يحاصرها المتمردون المسلحون منذ عام 2017.

أما الاتجاه العامّ في إفريقيا جنوب الصحراء الكبرى؛ فهو يصبّ في صالح الأحزاب السياسية الرئيسية والوجوه السياسية القديمة من المعارضة. ورغم الديناميات سابقة الذكر التي تُقلّل من احتمالية وقوع "الربيع الإفريقي"، إلا أن الوضع العامّ المتناقض الذي يُشبِه رياحَ "هرمتان" قد يتحول إلى شيء أكثرَ منهجيةً وخطورةً إذا لم يتم حلّ المشاكل المتعلقة بالسياسة والقضايا الاقتصادية والأمنية.

أبعاد
للدراسات الإستراتيجية

\DimensionsCTR
\DimensionsCTR
\dimensionscenter
\dimensionscenter

info@dimensionscenter.net